Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقـد كـنـتُ أظـما إلى وصـلِهِ فـقـد صِـرتُ أظْـماَ إلى صَـدِّهِ
فَهـل تُعتِقُ الـعَـينُ من دَمـعِهـا وهل يُقصِرُ القلبُ عن وجْدِهِ(١١٩)

ثم يتحـول فجأة إلى الممـدوح ، وتتألف القصيـدة من عشرين بيتـاً ، استغرقت المقدمة تسعة أبيات ، قال فيها : « تغير ، حال عن عهده ، أضمر غدراً ، أكذب الظنون ، أخلف فى وعده ، هجرانه أيسر من بعده أو فقده ، صرت أظما إلى صده ، هل يقصر القلب عن وجده ، وكأنه يلوم نفسه ويقنعها بالتحول عمن أحبهم وأخلص لهم الودّ .

وليس يشترط أن يكون الخليفة هو المقصود بتلك الصفات التى ترددت فى مقدمة القصيدة ، ولكن ما يعنينا هو أنها تضمنتها ، فأفصحت عن الحـالة النفسية للشاعر إبّان نظم مدحته ، وبذلك جاز أن نخرج بتلك المقدمة عن الإطار التقليدى الذى يحصر مهمتها فى مجرد التمهيد للمدح ، أو السيطرة على ذهن الممدوح ، كما جاز أن نجد فيها رموزاً موحية تكشف عن ضيق الشاعر وخيبة أمله .

وقد تتخذ المقـدمة منحى آخـر فى بعض قصائـده ، فحين ينسلخ عن همومه ، ويغلب عليه التفاؤ ل أو الابتهاج ، تكون المقدمة صدى لتلك الحالة النفسية ، وحينئذ تتخلى الحبيبة عن غدرها وظلمها ، ويصبح قـربها يسيـراً ومستحباً ، وتتضافر مظاهر الطبيعة فى إشاعة البهجة ، ويأتى الربيع مبكراً ، فيزخرف الأرض بوشيه الجميل ، ويكون ضاحكاً فرحاً ، كالشاعر حين يقبل على ممدوحه الذى يحبه ، ويتوقع منه تقديره ومجازاته بما يستحق . ففى مقدمة مدحته لأبى نوح عيسى بن ابراهيم ، نرى الحبيبة ذات طباع مغايرة لتلك التى ذكرها وهو يمدح المعتمد أو ابن ثوابة أو المعتز ، فها هنا لا نرى الجور والصدود والضلال والبخل والتغيّر وإخلاف الوعد ، بل نرى عـلى العكس من ذلك فاتنة ، فاترة الألحاظ ، تضحك عن لؤلؤ منضد ، وتجود بالوصل ، وتسقيه سلافة تأسره وتستهلك لبّه ، بل إن الطبيعة تحنو عليهما ، وتسهم فى تلوين مهرجان الحب ، فترسل النسمـات العليلة ، التى تساقط الـورد . يقول فى مقدمة مدحته لأبى نوح :

---

(١١٩) ديوان البحترى ٢ : ٦٥٦ .